

الترجمة الكاذبة Pseudotranslation

مصطلح الترجمة الكاذبة هو مصطلح شائع في الأدب على الأقل منذ أنتون بوبوفيتش (١٩٧٦: ٢٠) والذي وضع له تعريفاً. "قد يقوم أحد الكتاب بنشر عمله الأصلي كترجمة كاذبة لتوسيع دائرة جمهور قراءه حتى يستفيد من توقعاتهم." ويحاول الكاتب أن يستغل دوي الترجمة حتى يتم له البرنامج الأدبي الذي وضعه. ومن زاوية النص فإن الترجمة الكاذبة يمكن تعريفها بمسمى "quasimetatext" أي النص الذي يمكن قبوله كنص metatext. وغالبا ما تنتم الترجمة الكاذبة تلك بالذاتية.

لذلك فإن الترجمة الكاذبة ليست مجرد نص يتظاهر أو يفترض أن يكون ترجمة للنص الأصلي؛ ولا هو حتى نص يعده الكثيرون ترجمة؛ ولكنها أيضا - في ضوء اللبس الذي يحمله النص الذي يمكن اعتباره metatext - ترجمة يمكن عدها في كثير من الأحيان نصا أصليا. وبشكل عام فإن الترجمة الكاذبة تعرف بأنها عمل يصعب تحديد حالته من حيث كونه أصليا أم مشتقا وذلك لأسباب اجتماعية أو نصية.

ويؤدي ذلك لمشاكل لا حصر لها من حيث التعريف؛ ليس فقط لعدم وضوح سمات النص الذي يمكن إطلاق عليه مسمى ترجمة حقيقية أو أصلية ولكن أيضا لأن بعض النصوص قام المؤلف بتقديمها بأسلوب معين وتلقاها القارئ بأسلوب آخر.

ومن أمثلة ذلك نسخة الكتاب المقدس المساه The Living Bible حيث تم التصريح بأنها النسخة الإنجليزية من الكتاب المقدس وليس ترجمة؛ وشرح مؤلفوها في المقدمة أنهم لم يرجعوا للنصوص الأصلية باللغات العبرية والأرمانية واليونانية ولكنهم استخدموا الترجمات الإنجليزية الموجودة بالفعل لتوضيح رسالتهم في لغة الحياة اليومية. ولكن غالبا ما يتعامل القراء مع النص على أنه ترجمة للكتاب المقدس حيث لا يمنع مصطلح إعادة الصياغة قراءة النص على أنه مترجم. وتسمح مصطلحات رومان جاكوبسون Roman Jakobson بتصنيف ذلك الكتاب على أنه ترجمة للغة نفسها (انظر مناهج السيميولوجيا)؛ فهل تعد ترجمة كاذبة أم لا؟

وربما كانت ترجمة جيمس ماكفرسون James Macpherson للقائد الأوسيان Ossianic Poems في كتابه "مقاطع من الشعر القديم مترجمة من اللغة الغالية" (١٧٦٠) نموذجا مثاليا للترجمة الكاذبة؛ وقد اتبعها بمجموعات أخرى من لغة Fingal (١٧٦٢) ولغة Temora (١٧٦٣). واسم أوسيان Ossian هو الاسم الانجيليكي (الذي نشره ماكفرسون) للشاعر والمحارب الايرلندي الأسطوري أويسن Oisín المأخوذ من سلسلة قصص فينيان التي تدور حول مغامرات فين ورفاقه المقاتلين. وكان ماكفرسون Macpherson قد نشرف في صباه اشعار أصلية في مجموعته *The Highlander* (١٧٥٨) التي لم تلق اي اهتمام، ثم بدأ في تجميع المخطوطات المكتوبة باللغة الجالية Gaelic والقائد المتداولة شفها واعتمد عليهم في كتابة قصائده الأوسيانية والتي قال عنها أنها ترجمة عن قصائد لشاعر غالي من القرن الثالث الميلادي. ولم يكن معروفاً في ذلك الوقت؛ ولا إلى ما بعد ذلك بقرن كامل؛ أنه ليس هناك مخطوطات باللغة الغالية Gaelic تعود لما قبل القرن العاشر. وبنهاية القرن التاسع عشر أصبح من الثابت أن الأصول الغالية Gaelic التي يدعي ماكفرسون أنه استقى منها أعماله، والتي نشرت بعد وفاته، كانت في الحقيقة أعماله هو الأصلية باللغة الانجليزية بعد أن قام بترجمتها بأسلوب رديء إلى اللغة الغالية.

ورغم ذلك فإن القصائد الأوسيانية Ossian poems كان لها أثر كبير على الشعراء والمفكرين في إنجلترا وألمانيا وسائر دول العالم؛ حيث اعتبرها الكثيرون تدفقات أصلية الطابع للوجدان الجماعي البدائي. وشهد لأصالة تلك التدفقات الفكرية عالم البلاغة النافذ هيو بليز Hugh Blair ، ورغم وجود الكثير من المشككين والذين كان من بينهم المرعب دكتور جونسون Dr. Johnson؛ فقد أصبحوا نواة للحركة الأدبية التي ستصبح فيما بعد الحركة الرومانسية. وكان ذلك دليلا على أن العظمة الأدبية لا ترتبط بالتقدم الحضاري والتعليم والتطور أو الشكل الكلاسيكي المنضبط، وإنما يمكن (وينبغي) أن تنشأ من الوجدان الجماعي لكل شعب على حدة؛ سواء أكان عشيرة من الفلاحين أو من العوام.

ومن الواضح أن الرومانسيين كان يهمهم إثبات أصالة تلك الترجمات؛ وكان لديهم ميل لتصديقها. وبينما نطلق اليوم على أعمال ماكفرسون أكاذيب واحتياطات؛ أو ترجمة كاذبة على أحسن تقدير؛ فإنه من الواضح أيضا أن المثال الذي بنيت عليه تلك الأعمال قد ألهم الكثيرين في طول أوروبا وعرضها وأيضا في الولايات المتحدة الأمريكية، للبحث عن عينات أكثر أصالة من الشعر الشعبي مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالفن الفلكلوري.

وهناك مثال آخر مشابه ولكنه أكثر تعقيدا للترجمة الكاذبة هو ترجمة Hiawatha التي كتبها هنري وودزورث لونجفيلو Henry Wadsworth Longfellow (١٨٠٧-١٨٨٢) عام ١٨٥٥. أما الياس لونروت Elias Lonrot (١٨٠٢-١٨٨٤) فقد ألهمته القصائد الأوسيانية أن يقوم بجمع الشعر الشعبي ثم قام بتحريره في دائرة ملحمة مترابطة أطلق عليها اسم Kalevala (١٨٣٥؛ ١٨٤٤). وفي شبه جزيرة ميتشجان العليا قام هنري روي سكولكرافت Henry Rowe Schoolcraft (١٧٩٣-١٨٦٤) بمعاونة زوجته (جين جونستون سكولكرافت Jane Johnston Schoolcraft التي تنتمي أمها للتشيبوا)؛ قاما بجمع وترجمة الأساطير التشيبوية Chippewa إلى الإنجليزية؛ ثم قام بنشرها في سلسلة كتب خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر. وكان لونجفيلو Longfellow يجيد العديد من اللغات وكان بالفعل يجيد اللغات الإسكندنافية بدرجة كافية لقراءة الملحمة النوردية Nordic Epics في لغتها الأصلية، عندما قررتعلم اللغة الفنلندية. وفي ١٨٣٥ (نفس العام الذي نشر فيه لونروت أول طبعة من Kalevala) كان لونجفيلو Longfellow يزور ستوكهولم لتعلم اللغة الفنلندية من زوج أخت لونروت Lonrot وبالطبع كان قد سمع منه عن Kalevala. ولأن لونجفيلو Longfellow لم يكن قد أجاد الفنلندية بما يكفي لقراءة ملحمة باللغة الفنلندية فقد اعتمد، عندما شرع في كتابة ملحمة وطنية أمريكية في بداية خمسينيات القرن التاسع عشر، على العديد من الأعمال المترجمة؛ مثل الترجمة الإنجليزية للأساطير التشيبوية التي قام بها سكولكرافت والترجمات السويدية والألمانية لـ Kalevala. وبينما لم تقدم Hiawatha - وهي العمل الناتج عن هذا المجهود - أبدا على أنها ترجمة لأعمال أصلية هندية أو فنلندية؛ إلا إنها تحتوي على الكثير من المقاطع المترجمة من أعمال سكولكرافت ولونروت Lonrot. وقد وصف لونجفيلو المشروع بأسلوب له دوي مثير عند أصحاب نظريات معادل الأثر الحديثة، فقال في Hiawatha التي كتبها في نوفمبر عام ١٨٥٥ بعد نشره للملحمة بوقت قصير: "لقد حاولت أن أصنع لأساطيرنا الهندية القديمة ما فعله الشعراء الفنلنديين المجهولين لأساطيرهم؛ ولقد عمدت في ذلك إلى استخدام البحر نفسه ولكني لم أقتبس أيا من أساطيرهم".

وهناك أيضا مجموعة من الأعمال الأدبية؛ وبخاصة الروايات؛ التي تستخدم أسلوب الترجمة الكاذبة بشكل متعمد كامتداد نزيه لخيال العديد من الروائيين الذي يعتمد على المخطوطات التي تم العثور عليها. وبما أن الرواية

ظهرت كنوع واقعي من الكتابة يعكس الحياة في لغة شبه صحفية؛ وحتى عندما ادعت أكثر الروايات شديدة السخرية كذباً اعتمادها على قصص حقيقية، فإن هناك قطاعاً كبيراً من الأساليب الأدبية تم تطويره لتبدو الرواية وكأنها معتمدة على نثر قصصي حقيقي. من أمثلة تلك الأساليب أسلوب الرواية بصوت البطل؛ شكل الرسالة؛ والريبورتاج والمخطوطات التي تم العثور عليها، ويمكن للمحرر (الذي هو في الواقع المؤلف) التشكيك في أصالة تلك المخطوطات بنفي استناد النص إلى حدث واقعي. وفي ذلك التقليد الأدبي فإن الترجمة الكاذبة تتحول إلى مجرد مخطوطة تم العثور عليها تصادف (أو إدعى أحدهم) أنها كتبت بلغة أجنبية. فعندما ادعى ميغل دي ثربانتس ساابيدرا Miguel de Cervantes Saavedra مثلاً أن روايته دون كيشوت (*El Ingenioso hidalgo Don Quixote de la Mancha*) (١٦٠٥-١٦١٥) هي ترجمة أسبانية للرواية العربية "سيد بنغالي" *El Cid Benegali* لم يكن يقصد أن يكون مترجماً كما فعل جيمس ماكفرسون James Macpherson؛ ولكنه كان هزلياً يضع مسافة بينه وبين أعماله الأدبية حتى يعمل على تقوية وتقويض أصالتها في الوقت نفسه كسجل للحقيقة.

وفي حلقة أخرى أكثر تعقيداً من ذلك الإتجاه يكتب الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورجيس Jorge Luis Borges (١٨٩٩-١٩٨٦) قصة عن كاتب فرنسي كاذب يدعى بيير مينارد Pierre Menard الذي يكلف نفسه مهمة هائلة وهي كتابة رواية ثربانتس *Cervantes* (بيير مينارد مؤلف دون كيشوت)؛ ولا يعني بذلك ترجمتها إلى الفرنسية أو الاقتباس منها ولكن يعني إعادة كتابتها مرة أخرى باللغة الأسبانية وذلك عن طريق تعلم الأسبانية وانتهاج أسلوب حياة قريب من أسلوب حياة ثربانتس Cervantes حتى استطاع في النهاية إيداع فقرات كاملة مطابقة للنص الأصلي الأسباني دون الرجوع إليه. وفي قصة بورجيس Borges ينجح مينارد Menard في الحقيقة في كتابة عدد قليل من الفقرات القصيرة ويقوم بورجيس بتوضيح الاختلافات بين الفقرات المتطابقة المكتوبة باللغة الأسبانية على يد رجل أسباني في بداية القرن السابع عشر، وتلك التي كتبها رجل فرنسي في القرن التاسع عشر؛ وهناك تعليق ساخر يقول أن الأعمال الأصلية العظيمة لا يتقدم بها العمر بينما يتقدم بترجماتنا. وبشكل ما فإن ما فعله مينارد Menard هو كتابة ترجمة لرواية دون كيشوت بلغة تعتبر بالنسبة له لغة أجنبية؛ ويتضمن ذلك ترجمة خبراته من لغته الأصلية وهي الفرنسية إلى اللغة الأسبانية. ومما يثير الإهتمام أن بورجيس كان غارقاً في الأدب الإنجليزي والأمريكي طوال حياته بشكل أثر على لغته الأسبانية فكانت أعماله باللغة الأسبانية تبدو دائماً وكأنها ترجمة عن أعمال إنجليزية.

ومفهوم الترجمة الكاذبة هو من المفاهيم المثيرة للاهتمام بشكل كبير لأنه يثير الشكوك حول بعض من معتقداتنا الراسخة وبخاصة اعتقاد وجود اختلاف تام بين الترجمة والنص الأصلي. في كتاب "البلاغة والتأويل والترجمة في العصور الوسطى" تحاول ريتا كوبيلاند Rita Copeland تدقيق النظر في عدد من النصوص المكتوبة في العصور الوسطى التي تتواجد في منطقة غريبة بين ما نعتقد أنه ترجمة وما نعتقد أنه عمل أصلي. وتتضمن تلك النصوص نص Ovide Moralise والعديد من النسخ الفرنسية والإنجليزية الموسعة والمختصرة — *Consolatio philosophiae* التي كتبها بيوثيوس Boethius وقصيدة *Le Roman de la Rose* وكتاب جيوفري تشوسر Geoffrey Chaucer (١٣٤٠-١٤٠٠) أسطورة النساء الطيبات *Legend of Good Women* و اعترافات عاشق لجون جوير John Gower (١٣٣٠-١٤٠٨) *Confessio amantis*. ومن الواضح أن تلك الأعمال تشتمل على وتتكون من ترجمات لأعمال كتبت بلغات أخرى ولكن غالباً ما تكون تلك الفقرات متداخلة في

نسيج العمل أو تأخذ شكل تعليقات لا يمكن تمييزها عن الترجمة التي تلخصها؛ ويتم تقديمها للجمهور على أنها تعليقات أو أعمال أصلية (بخاصة العاملين الأخيرين لنتشوسر وجوير (Chaucer and Gower) أو تقدم بكل بساطة؛ وهذا ما يثير الاهتمام؛ دون تحديد ما إذا كانت تعليقات أو ترجمات أو أعمال أصلية. ويشدد هذا النوع من الكتابات التاريخية الأدبية على أهمية قانون حقوق الطبع المطبق لدينا - والذي يفرق بكل وضوح بين الترجمة والعمل الأصلي وبين المترجم والكاتب - كخيال اجتماعي حديث نسبيا وكذلك مفهوم الترجمة الكاذبة المتطفل.

للمزيد من القراءة

Toury 1984, 1995.

دوجلاس روبنسون Douglas Robinson